شمولية البعد الاعتباري في القرآن الكريم

طالبة الماجستير: نهضة صاحب هاشم الشريفي

جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

إشراف الأستاذ المساعد الدكتور ستار جبر حمود الأعرجي

المقدمة

عندما نتدبر القرآن الكريم, ندرك انه المظهر الأسنى لعظمة الله في هذا الوجود, وهداه للبشرية, وحجته القائمة على هذه الأرض, وكلمته العليا في الملكوت, وندرك أن به تجلّي ربوبية الله جل شأنه في الكون عامة , وفي الإنسان خاصة .

وليست الغاية من القرآن الكريم أن يكون كتاب تاريخ أو قصص أو علوم طبيعية أو بيان لأسرار السماوات والأرض, وإن تعرض لها جميعا, وإنما الهدف الأساس له هو (الهداية البشرية), وقد تبلور هذا الهدف من خلال الدلالة الكلية التي أفرزتها هذه الأبعاد المتنوعة والتي تشكلت من خلال الرؤية الكونية والأيديولوجية, إذ رسمت لنا خطا عريضا واضحا, وطريقا سليما مستويا هو الصراط المستقيم, وهو الهدف الأساس والغاية الأسمى ليسلكه الناس ويهتدوا بنوره فيخرجهم الله من الظلمات الى النور .

وقد أولى هذا القرآن العظيم عناية بالغة بالهداية والإرشاد, ووظّف السبل والوسائل والأساليب والأبعاد على المستوى البلاغي المعجز, وعلى المستوى التشريعي, والأخلاقي, وعلى صعيد التصريحات والإشارات العلمية, وعلى الصعيد التاريخي والجغرافي, وظّف كل ذلك من أجل هذا الهدف الأسمى, ومن هذه الوسائل والسبل, البعد الوعظي والاعتباري السائد في جميع آياته تعالى سواء أكان في سرده لحوادث الغابرين أم في توجيهه وتحذيره المباشر أم في وعده ووعيده وإنذاره وتبشيره , من خلال آياته الكريمة .

في هذا البحث سنقف عند دلالة الاعتبار من مناح عدة, إذ سنبين مفهومه لغة واصطلاحا ونتعرض الى علاقاته الزمانية والمكانية والنوعية وغيرها من الأبعاد الأخرى, ونسلط الضوء على معنى الاعتبار فلسفيا ونفسيا, ثم نقدم أنموذجا قرآنيا قصصيا لإظهار مواطن العبرة والاعتبار فيه, آملين أن نكون قد أحطنا بما يليق بهذا البعد الذي أولاه القرآن الكريم عناية بالغة .

مفهـــوم الاعتبـــار

أولا : الاعتبار عند أهل اللغة

ورد في المفردات حول مادة "عبر": أصل العبر تجاوز من حال الى حال ، أما العبور فيختص بتجاوز الماء, ومنه عبر النهر, واشتق منه عبر العين للدمع, وقيل: عابر سبيل, وجاء في القرآن((إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ))[١], والاعتبار والعبرة بالحالة التي يُتوصل بها من معرفة المشاهَد الى ما ليس بمشاهَد ، قال تعالى: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لعِبْرَةً))[٢], والتعبير مختص بتفسير الرؤيا ((إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ))[٣]وهو أخص من التأويل يقال فيه وفي غيره[٤] .

وفي لسان العرب: عبر الكتاب يعبره عبرا : تدبره في نفسه ولم يرفع صوته بقراءته, والعابر: الذي ينظر في الكتاب فيعبره أي يعتبر بعضه ببعض حتى يقع فهمه عليه, والمعبر ما عبر به النهر من فلك أو قنطرة أو غيره، والمعتبر: المستدل بالشئ على الشئ, وعبّر عما في نفسه: أعرب وبيّن، واللسان يعبّر عما في الضمير، والعبرة العجب, وفي القرآن الكريم ((فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ))[٥] أي تدبروا وانظروا فيما نزل بقريظة والنضير، فقايسوا

فعالهم واتعظوا بالعذاب الذي نزل بهم . والعبر: جمع عبرة وهي الاعتبار بما مضى، وهي كالموعظة مما يتعظ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره، وقيل: العبرة الاسم من الاعتبار[٦].

وجاء في المعجم الوسيط: اعتبر الشئ اختبره وامتحنه, واعتبر به اتعظ, واعتبر منه تعجب، والعبرة: الاتعاظ والاعتبار بما مضى، والعبرة : العجب جمعها عبر ، واستعبر فلان: جرت دمعته، وعبر النهر عبرا وعبورا: قطعه من شاطئ الى شاطئ, وكذلك الطريق : قطعه من جانب الى جانب , والاعتبار: الفرض والتقدير, يقال أمر اعتباري مبني على الفرض ، والعبارة : الكلام الذي يبين ما في النفس من معان[٧] .

بعد هذا البيان يتضح لنا ان أهم دلالات هذه المفردة, وأقربها للهدف القرآني, هو ما يحقق معنى الامتحان, وما يفيد معنى التأثر والاتعاظ بما جرى على الأقوام من العذاب, وهذا المعنى هو المقصود بالبحث .

ثانيا :الاعتبار في الاصطلاح

في مستهل سورة الحشر المباركة, في ذيل الآية الثانية منها, ورد اللفظ (اعتبروا) بصيغة فعل الأمر, ولم يتكرر بهذه الصيغة في القرآن كله ((هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)) حيث ذُكر أنها نزلت بشأن اليهود القاطنين في المدينة المنورة, فعندما (نزل النبي(ص) بالمدينة عاقده بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولا له, ثم نقضوا العهد وأرادوا أن يطرحوه حجرا حين مضى(ص) اليهم...ومالوا للمشركين على النبى(ص) فأجلاهم عن ديارهم ومنازلهم...)[٨]، قال صاحب الكشاف: (فاعتبروا بما دبر الله ويسّر من أمر إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال، وقيل: وعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال ، فكان كما قال)[٩].

وجاء في روح المعاني:(فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي إليه الأفكار ، واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصي ، واعبروا من حالهم في غدرهم واعتمادهم على غير الله تعالى الصائرة سبباً لتخريب بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم ومفارقة أوطانهم مكرهين ، إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب وتعتمدوا على غيره عز وجل بل توكلوا عليه سبحانه)[١٠]

وبيّن صاحب نظم الدرر ما تحمل هذه المفردة من دلالة بقوله: (فاعتبروا : أي احملوا أنفسكم بالإمعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى على أن تعبروا من ظواهر العلم في هذه القضية بما دبر الله في إخراجهم ، إلى بواطن الحكمة بأن لا تعدوا لكم ناصراً من الخلق ولا تعتمدوا على غير الله... فمن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره)[١١].

بهذا البيان نفهم ان الاعتبار جاء بخصوص هذه القصة حصرا ، الا ان العبرة دوما بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو المعروف ولولا ذلك لانتفت الفائدة من القرآن الكريم، ويقوّي هذا المعنى ما جاء عن الإمام الباقر(ع) ((...إن القرآن حي لا يموت والآية حية لا تموت ، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام ماتوا فمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين))[١٢] لذا فمن الطبيعي ان يجري الاعتبار في مواطن أخرى من الآي الكريم وإن لم يذكر بلفظه ، فقد ورد في نهج البلاغة:((واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء

الأفعال وذميم الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا ان تكونوا أمثالهم فإذا تفكرتم في تفاوت حالَيهم فالزموا كل أمر لزمت العزة به شأنهم))[١٣] .

وورد أيضا بشأن الاعتبار: ((فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته واتعظوا بمثاوي خدودهم ومصارع جنوبهم))[١٤].

وفي مصباح الشريعة قال الإمام الصادق(ع) : ((المعتبر في الدنيا عيشه فيها كعيش النائم يراها ولا يمسها, ويزيد عن قلبه ونفسه باستقباحه معاملات المغرورين بها ما تورثه الحساب والعقاب, ويتبدل بها ما تقربه رضا الله وعفوه, ويغسل بماء زوالها مواضع دعوتها إليه وتزين نفسها إليه, فالعبرة تورث صاحبها ثلاثة أشياء: العلم بما يعمل, والعمل بما يعلم, والعلم بما لا يعلم, والعبرة أصلها أول يخشى آخره، وآخر قد تحقق الزهد في أوله, ولا يصح الاعتبار إلا لأهل الصفاء والبصيرة...فمن فتح الله عين قلبه وبصيرته بالاعتبار فقد اعطاه منزلة رفيعة وملكا عظيما))[١٥] .

وفي نهج البلاغة أيضا: ((فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد, وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى أمن سنيّ الدنيا أم من سنيّ الآخرة, عن كبر ساعة واحدة))[١٦].

إذن, وعلى ضوء ما ذكرنا, ومن خلال إلقاء نظرة شمولية على روايات المعصومين(ع) وأقوال المفسرين، يمكن استنتاج دلالة الاعتبار, ضمن المنظور الاجتماعي العام , بأنها:

ما يمكن استخلاصه من تاريخ الأمم وحوادث الغابرين، وسَنّه بمثابة قوانين حياتية يسير على وفق هداها المجتمع ، وذلك بتجنب ما يحقق الأسباب لفناء الحضارات وموتها ، وتبني ما يحقق الأسباب لانبعاث الحضارات وانتعاشها .

ثالثا :الاعتبار والقياس الشرعي

هنالك مسألة مهمة وقع اللبس فيها عند المفسرين من بعض المذاهب الأخرى, فقد ورد في تفاسيرهم أن آية الاعتبار هذه تعدّ دليلا على جواز العمل بالقياس والمشابهة بين المسائل الفقهية من أجل استنباط الأحكام الشرعية, نلمس ذلك واضحا في قول الآلوسي: (واشتهر الاستدلال بالآية على مشروعية العمل بالقياس الشرعي، قالوا: إنه تعالى أمر فيها بالاعتبار وهو العبور والانتقال من الشيء إلى غيره وذلك متحقق في القياس إذ فيه نقل الحكم من الأصل إلى الفرع ، ولذا قال ابن عباس في حكم الأسنان : «اعتبر حكمها بالأصابع في أن ديتها متساوية»)[١٧]، وأثبت الرازي حجية القياس حين قال:(اِعلم انا قد تمسكنا بهذه الآية في كتاب «المحصول من أصول الفقه» على أن القياس حجة)[١٨] .

أما البقاعي فقد أوجب العمل بالقياس في قوله:(وقد احتج بالآية مثبتو القياس فإنه مجاوزة من الأصل إلى الفرع، والمجاوزة اعتبار، وهو مأمور به في هذه الآية فهو واجب)[١٩] .

لكن رأي مفسري الإمامية غير ذلك, فقد جاء في التبيان: (ومن استدل بهذه الآية على صحة القياس في الشريعة فقد أبعد ؛ لان الاعتبار ليس من القياس في شئ، وإنما معناه الاتعاظ على ما بيناه, ولا يليق بهذا الموضع قياس في الشرع؛ لانه لو قال بعد قوله ((يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ)) فقيسوا الأرز على الحنطة، لما

كان كلاما صحيحا ولا يليق بما تقدم ، وإنما يليق بما تقدم الاتعاظ والانزجار عن مثل أفعال القوم من الكفر بالله)[٢٠].

كما أنكر الطبرسي هذه المسألة حين قال : (ولا دليل في الآية على صحة القياس في الشريعة لأن الاعتبار ليس من القياس في شئ...ولأنه لا سبيل لأهل القياس الى العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين علة الأصل للآخر فإن علة الربا عند أحدهما الكيل والوزن والجنس وعند الآخر الطعم والجنس وفي الدراهم والدنانير لأنهما جنس الأثمان)[٢١] , فإن المقصود بالاعتبار(هو مقايسة الحوادث المتشابهة من خلال إعمال العقل كمقارنة حال الكفار مع حال ناقضي العهد من يهود بني النضير...وهذه الجملة لا ترتبط أبدا بالقياسات الظنية التي يستفيد منها البعض في استنباط الأحكام الدينية)[٢٢].

رابعا : الاعتبار في الاستعمال القرآني

وردت مادة "ع ب ر" في القرآن الكريم بصيغ متعددة تحمل دلالات متنوعة كما يأتي:

١) اعتبروا : جاءت هذه الكلمة فعلا أمرا مرة واحدة في سورة "الحشر" المباركة في ذيل الآية الثانية منها في قوله تعالى ((فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ)) بمعنى اتعظوا بما جرى على اليهود .

٢) عبرة : هذه الصيغة وردت اسما في ستة مواضع من القرآن الكريم ، هي :

((يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ))آل عمران{١٣}

((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ)) يوسف{١١١}

((وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً))النحل{٦٦} والمؤمنون{٢١}

((يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ)) النور{٤٤}

((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى)) النازعات{٢٦}

٣) عابري : جاءت اسم فاعل للجمع مرة واحدة في سورة النساء المباركة في الآية الثالثة والأربعين منها ((وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ)) بمعنى مجتازي الطريق في حالة السفر .

٤) تعبرون: جاءت فعلا مضارعا للجمع مرة واحدة في سورة "يوسف" المباركة في الآية الثالثة والأربعين منها ((يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ)) بمعنى بينوا لي تعبير هذه الرؤيا .

بهذا التتبع يتبين أن هذا الأصل اللغوي قد ورد اسما وفعلا مضارعا وأمرا في تسعة مواضع من القرآن الكريم, بمعان متنوعة, ومداليل متعددة, الغالب فيها البعد الوعظي والإرشادي .

علاقات البعد الاعتباري

إن الاعتبار في القرآن الكريم هو العنصر الفعال الذي أسبغ عليه القرآن الكريم اهتماما خاصا, ليقوم بمهمة التبليغ ويؤدي عمله المناط به في الهداية الى الصراط المستقيم على المستويات كافة, فما مدى قابليته على الاتساع والشمول ضمن المديات الطبيعية ؟ ما هي علاقته بالأبعاد الأخرى ؟ وما علاقته بالأنواع والأجناس الأخرى ؟

أولا : العلاقة الزمانية

تناول القرآن الكريم كثيرا من القصص حول الأقوام الغابرة وجعلها بمثابة رسالة إنذار وتوجيه الى الناس كافة, وجعل مصائرهم المظلمة دعوة للاعتبار بها, وردعا عن الحذو حذوهم, والسلوك مسلكهم, وعبرة لأولي الألباب .

إن انتساب هذه القصص وما تحمل من العبر الى الماضي السحيق له تأثيره الكبير في تقويم سلوك الإنسان بيد ان ذلك لا يعني تحجيم البعد الإنذاري والاعتباري بانتسابه الى عنصر الزمن الماضي فحسب, فهذا البعد الفعّال الذي يمنح القرآن حياة وحركة لا يمكن أن تحجّمه حقبة أو وجهة زمنية معينة, فإن كان حدّ الزمان هو(إحصاء عدد حركة الفلك بالساعات والأيام والشهور والسنين)[٢٣] فإنّ المسألة الاعتبارية تتسع بسعة القرآن وتتجاوز الحركة الإحصائية باستيعابها عنصري الحاضر والمستقبل.

إن القرآن الكريم ـ بحكم شموليته وعالميته ـ لم يقتصر على الاعتبار بالأمم الغابرة, وإنما كان الزمن الحاضر حيّاً بين أيدي الأمة ـ في زمن الرسالة ـ ليعتبر ذوو الألباب والأبصار, يتلمسونه آية إثر آية, وخطوة بعد خطوة , فلنتأمل قوله تعالى بشأن حدود معالجته الفساد في الأرض, التي لا تخلو من الجنبة الإنسانية والنفحة الرحمانية في فتح باب التوبة, ومنح فرصة الى المفسدين للإياب قبل العذاب : ((إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[٢٤].

هذا العقاب الدنيوي الرهيب الذي يصيب المحاربين لله ورسوله, والمفسدين في الأرض ـ وما أكثرهم في زماننا ـ إنما هو قانون كان حيا حاضرا جارٍ على عرب الجزيرة , وأضحى ماضيا ـ بالنسبة إلينا ـ بين طيات الزمن السحيق, بيد أنه جارٍ بالقوة نفسها على كل مفسد وجاحد , فلنعتبر ولنتعظ !!

أما المستقبل فقد شغل المساحة العظمى من كتاب الله تعالى, ويتمثل في الجزاءات المستقبلية الأخروية التي لا مناص من وقوعها بعد انتهاء زمن الدنيا, وهي الوعد الحق من الحق سبحانه, منها هذه الصور المستقبلية في قوله تعالى: ((وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)) [٢٥] , وقوله تعالى ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ)) [٢٦], وقوله تعالى: ((وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[٢٧] . إن رسم هذه الصور الأخروية وأمثالها التي أنزلها القرآن الكريم الى الدنيا هي لغرض إعادة البشر الى جادة الصواب وتخويفهم, والاعتبار بها, وإعدادهم للوقوف أمام الله جل جلاله, فلا ينبغي له أن يكون منّاعا للخير ولا معتدٍ .

والملفت أن معظم الآيات التي تصف اليوم الآخر وعذاب جهنم في القرآن الكريم قد جاءت بصيغة الماضي, وكأن الأمر حاصل لا محالة, وهذا إنما يدل على أن الحاضر والمستقبل معا بحكم الماضي...كيف ؟

يتقدم الحاضر على الماضي ويحتل موقع الصدارة عادةً بحركته وحضوره وآنيته, فإن قيل إن حدّ (الآن) هو:(وصلة غير منقسمة تصل بين الزمان الماضي والمستقبل)[٢٨] يكون الحاضر هو هذه الوصلة غير المنقسمة؛ لأنه حالما يتسمى حاضرا يصير آناً, وسرعان ما يلتحق بقافلة الزمن ويحث الخطى, ويغذّ المسير حتى تتضبّب معالمه ويندرس في متاهات الماضي السحيق, وحالما يختفي الحاضر يحلّ محله المستقبل ليغدو آناً حاضرا, ولسوف ينال ما ناله (الآن القبلي) فيدور مع عجلة الزمن التي أبداً لن تتوقف, فتسحقه وتجعله ركاما ماضيا.

وهكذا نفهم أن الحياة في كل لحظة تتآكل ثناياها وتنسحق وتتحول الى ماض شيئا فشيئا, فيكون الحاضر والمستقبل بحكم الماضي .

ثانيا : العلاقة المكانية

يعرض القرآن الكريم آيات عدّة لإظهار مواطن العظة والعبرة, وتقديمها لبني البشر, كي يتلمسوا عبرها طريق الحق ليعبروا الصراط المستقيم , من مثل أقوام نوح وعاد وثمود الذين احتل كلّ منهم بقعة من بقاع الأرض, في العراق, في الشام, في اليمن, صالوا وجالوا, وانحرفوا عن جادة الحق, وكذّبوا أنبياءهم, ثم أبيدوا بسوء أعمالهم ففنيت حضاراتهم, وانمحى أشخاصهم, وخوت بيوتهم, كأن لم يغنوا بالأمس, ولسوف يكون إيابهم ومعادهم في مكان آخر وعالم آخر يسمى الآخرة, يوم تبدل الأرض غير الأرض, ويكبّون على وجوههم في جهنم وبئس المصير, فلنتأمل هذا المعنى العظيم في الآيات الكريمات التي أوردناها قبل قليل ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ)) [٢٩] .

وهكذا نفهم أن الاعتبار والاتعاظ لا ينبغي تحديده, بل يستحيل تحجيمه بمكان محدد سواء أكان في هذه الأرض على سعتها, أم في الدار الآخرة المترامية الأطراف الشاسعة الأبعاد التي لا يعرف مبدؤها ومنتهاها إلا علاّم الغيوب, وإنما وصف المصير الأخروي للظالمين والكافرين لأجلنا نحن البشر في هذه الدنيا لنعتبر . وهكذا نرى أن في كل موضع وموطن درس وعبرة .

ثالثا : العلاقة مع الأجناس الأخرى

عندما يقول تعالى((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً))[٣٠] فهل نفهم منه اقتصار التبليغ على بني آدم ؟ ألا يحتمل أن يكون المؤمنون المعنيون في الآية الكريمة من غير جنس البشر- فضلا عن البشر- فتجري عليهم نفحات الهداية ويخضعون لناموس العظات والعبر؟

ما أكثر العوالم الخافية على بني آدم ؟!! والمشهود منها مرسوم في القرآن بين طيات آياته المباركة, فعالم الجن مثلا, انضوى كثير منهم تحت لواء لا إله إلا الله, وأقر بنبوة محمد(ص), يشهد بذلك قوله تعالى((قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً وَأَنَّهُ تَعَالَى

جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً))[٣١] .

وعالم الملائكة, عالم ملكوتي دؤوبٌ يعجّ دويّه في السماء, وفي الأرض, خشوعا بين تهليل وتسبيح, سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح, ((وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[٣٢], هذه الصورة تحفز البشر لتتطاول أعناقهم للوصول الى المرتبة الملائكية, بل أسمى منها؛ لأن الله تعالى أودع فيه القابلية للسمو فوق مستوى الملائكة . وهناك أيضا عالم الحيوان, وعالم النبات, وعالم الجماد, وعوالم أخرى لا يعلمها إلا خالقها((وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ))[٣٣] , وبعد.. فإن أقصى ما نعلمه نحن البشر- كما علّمنا القرآن - أن الجبال والطير والطبيعة كانت تسبّح مع تسبيح نبي الله داود (ع) وإنها أمم أمثالنا, وهي تخشى الله وتسبّحه, بينما نرى المنحرفين من البشر لا يخافون ولا يرتدعون !! ألا يدعو هذا الى التأمل وأخذ العبرة ؟ ((قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ))[٣٤].

رابعا : العلاقة مع النوع

تنطبع في ذهن الأعم الأغلب منا فكرة قديمة , وهي ان العبرة والعظة تلازم الحكاية والأقصوصة والمثل, وتقتصر عليها, أو تقترن بها على وجه لا ينفك أحدها عن الآخر, بيد أن الأمر يتعدى ذلك, فالعبرة قد تؤخذ أيضا من أمور متعددة لا تندرج تحت مسمى القصة, ولربما تصدر كلمة عابرة من صبي أو إنسان غير معتدّ به, تؤثر في الوجدان وتغيّر نمط حياة المرء, بل قد تفعل نظرة ما, فعل السحر فتهزّ الأعماق وتتحول الى سلوك هو بمثابة رد فعل إزاء تلك النظرة, وقد يحنق أحدنا على آخر حسدا فتنقلب حياته وتضيق لتضحى عيشة ضنكا, وقد يترتب على ذلك سلوك منحرف .

ولطالما لفت القرآن الكريم نظرنا إلى جميل خلق الله وبديع سماواته وأرضينه, لنعتبر بها, ونؤوب الى فطرتنا ولنستدل بها على وجوده ووحدانيته ((أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ))[٣٥] .

هكذا نستطيع تلمّس شمولية البعد الاعتباري للقرآن الكريم في العلاقات جميعا, ونصل الى ان مسألة الاعتبار والاتعاظ لا يسوّرها سور ولا يحدها حدّ, بل هي مطلقة شاملة تستمد حياتها من النور الإلهي الذي يشع على كل الأجناس, في كل العوالم, وفي كل الأزمان .

الفلســـفة والاعتبـــار

أولى القرآن الكريم اهتماما خاصا من أجل بلورة الهدف الأسمى والغرض الأساس من نزوله على بني آدم, وهو إيصالنا الى منبع القدس والفيض الإلهي, وتثبيت أقدامنا على صراطه القويم, فكان التركيز واضحا جليا على مواطن الاعتبار في آياته الكريمة, للنهوض بنا الى مستوى ذلك الهدف الأسمى . وقد تم تسليط الضوء على فلسفة الاعتبار, لتبيين الحكمة من هذه العناية البالغة بالعبرة والعظة في القرآن الكريم, وانتظم البحث ضمن منهجية ذات طبيعة استفهامية, وذلك بترتيبه على أقسام, يضطلع كل قسم بمهمة الإجابة بشكل موجز عن سؤال يعرض في مستهلّه, من أجل توضيح فكرة من الأفكار المتعلقة بالبحث :

[أولا] : تعريف الفلسفة: ما الفلسفة ؟ وما تعريفها ؟ قيل ان الفلسفة بمعناها الشامل(كمال نفساني من الناحية النظرية والعملية)[٣٦] , وذكروا تعريفا آخرا للفلسفة هو: (العلم بأحوال الموجود من حيث هو موجود، لا من حيث تعيّنه المخصوص كأن يكون جسما أو كمّا أو كيفا أو إنسانا أو نباتا...)[٣٧]. وبعبارة واضحة: إن الفلسفة تعني (البحث والدراسة في سلسلة من المسائل التي تتحدث عن مطلق الوجود وأحكامه وأعراضه على أساس البرهان والقياس العقلي. وهي تتكلم عن وجود الأشياء أو عدمها وتدقق في أحكام مطلق الوجود ولا تنظر إلى الأحكام والآثار المختصة بموضوع واحد أو عدة مواضيع معينة وهذا بعكس العلوم التي تتناول دائماً موضوعاً واحداً أو عدة مواضيع مفروضة الوجود ثم تدقق في أحكامها وآثارها وهي لا تنظر إلى وجود الأشياء ولا إلى عدمها)[٣٨].

[ثانيا] : فلسفة الاعتبار: ما هي فلسفة الاعتبار؟ وما حقيقة الانفعالات المؤدية الى الاعتبار؟ ومن أين منبعها ضمن المنظومة السايكولوجية للإنسان؟

لعل المسألة تأخذ مسارا وجدانيا من جانب ، وتعبير الآية الكريمة يكشف عن هذا المعنى ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى))[٣٩] فالخشية من الله تعالى هنا حالة من حالات التقوى ودرجة من درجات السمو الوجداني قبل خضوعها للإدراك العقلي، فإن(وسائط سلوك طريق الاعتبار مهيئة لمن سرى في قلبه الخوف والخشية من الله واعترته مشاعر الإحساس بالمسؤولية ،ومن رأى العبرة بعين معتبرة اعتبر)[٤٠] .

ومن جانب آخر يتحفز الإدراك والفكر ليتلقى المسألة الاعتبارية بشئ من إعمال الذهن وإخضاع الأمر لمنطق عقلي للخروج بنتيجة إيجابية كما هي الإشارة القرآنية((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ))[٤١].

والأبصار جمع بصر, والمقصود هنا البصيرة التي تعني النظر الذهني العميق، وكثيرا ما يجئ الاستعمال القرآني لها ضمن تعبيرات معينة لبيان مهام العقل ورتبه ومراحله، تبدأ بـ "الشعور" ويراد منه الإدراك البسيط، ثم مرحلة "الفقه" ويعني إدراك المسائل الخفية من المسائل الجليّة، وبعدها تأتي مرحلة "الفكر" ويُراد منه التحليل العقلي، ثم تأتي مرحلة "الذكر" أي الحفظ في الذهن والحضور في البال، ثم مرحلة "النُهى" التي تعني الإدراك العميق لحقائق الأمور، وتنتهي هذه المراحل بمرحلة البصيرة، والبصيرة تقال للإدراك والوعي الداخلي، أما البصر فهو للعين الباصرة[٤٢] .

وقد يعبّر بلفظ آخر هو" الألباب" ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ))[٤٣] واللبّ يعني (الصفوة من كلّ شيء، ولهذا يطلق على المرحلة الرفيعة من العقل "اللب"، وكلّ لبّ عقلٌ لكن ليس كل عقل لُباً، لأن اللب هو العقل في مراحله الرفيعة والخالصة)[٤٤]، وجاءت بعض التفسيرات المصداقية لتعبير" أُولي الألباب" بأن المشار اليهم (هم العلماء الذين خلصت عقولهم من جميع ترسبات الأوهام، فهم يدركون وقائع نظام الخلق، ويرون جمال الخلق من خلالِ المخلوقات)[٤٥] .

[ثالثا] : الاعتبار من المنظور النفسي: على ضوء ما ذكرنا، هل يمكن ان نقرأ مسألة الاعتبار قراءة تكشف عن قدر مما يعتمل في أعماق النفس الإنسانية ؟

يمكن القول: إن الاعتبار حالة نفسانية تجتاح أعماق الشعور، موجهة للسلوك، ناتجة عن ردة فعل خارجي، تمتلك من الطاقة ما تستطيع به تغيير الكائن البشري جذريا ـ ضمن أقصى مدياتها ـ من وضع الى آخر.

أو : هو حالة انفعالية باطنية إزاء فعل خارجي، تعتري القلب البشري ، لها القدرة على خلق الحواجز في دواخله للارتداع عما يمكن ان يلحقه من سوء إن هو سلك سبيل الضلال ولم يرعوِ أو يرتدع عما أصاب سواه ممن سلك ذلك السبيل .

هذه القراءة لا تبعدنا كثيرا عن المفهوم اللغوي لأنها تمثل حالة عبور من كيف الى كيف، بشرط البصيرة، مثلما يُفهم من ظاهر النص ((فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ))[٤٦] ؛ لأن ذوي البصيرة هم وحدهم الذين لهم القابلية على الاستفادة من العبر والدروس بكل صورها ، الماضية والحاضرة والمستقبلية .

وهذه القراءة توصلنا الى أن للاعتبار بواعث وجدانية أخلاقية فضلا عن البواعث الإدراكية ، والوجدان الأخلاقي يعني الأوامر الصريحة والحاسمة التي تلهم الإنسان من قبل ضميره ، ويتمثل هذا الأمر من دون اعتراض ، وليس من أجل هدف أو غرض ، وإنما هو يفعله طاعة لأمر وجدانه[٤٧]. والضمير الحي الملهم هو: (أن تحب الخير والفضيلة من حيث هما, أي حتى من عدوك, وأن تكره الشر والرذيلة حتى من نفسك، وأن تشارك الناس في مشاعرهم وآلامهم فيخفق قلبك لكل مظلوم وبائس في شرق الأرض وغربها)[٤٨]

إذن يمكن تصنيف مسألة الاعتبار ضمن العلوم العملية، فإن أحكام العقل على قسمين: أحكام العقل النظري، وهو إدراك الأشياء الموجودة، وأحكام العقل العملي، وهو إدراك الأشياء التي لابد أن تنجز، والمسائل الوجدانية تقع ضمن الجانب الأخير من وظائف عقل الإنسان[٤٩], على أن ذلك لا يعني أن الضمير أو الوجدان يعيش في عزلة عن العقل, بل (هناك تشابك عضوي بينهما, ولون من الوحدة والاتّساق, وبهما معا تكمل وتتم شخصية الإنسان, ويمتاز عن الحيوان, وسائر المخلوقات)[٥٠].

[رابعا] : مستويات الاعتبار: ما هي المستويات التي يمر بها الإنسان عند وقوفه عند مواضع العبرة والاعتبار؟ إن الكائن البشري هنا لا يخلو من تقمصه إحدى ثلاث حالات :

أ- التأثر الكامل: وهو أن ينغمر في البعد الاعتباري بكل وجدانه ومشاعره وإدراكه وبصيرته((إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ))[٥١]فيتذكر ويعتبر ويصحح مساره في الحياة ويعدل سلوكه العملي على المستوى الفردي والاجتماعي((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً))[٥٢] فيربط الله تعالى على قلبه ((يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ))[٥٣] ويسدد خطاه, ويرفع شأنه, حتى لَيرقى في مصافّ الملائكة, أو أسمى وأرفع.

ب- العمى القلبي: وهو أن يمر على مواضع العبرة بلا أدنى تأثر,فيكون مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا, لو عرضتَ على سمعه وبصره أبلغ الصور, ودعوته جهارا وإسرارا , للاعتبار والارتداع, لا يتزحزح وجدانه قيد أنملة((أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً))[٥٤] فهو من الذين ضُرب على آذانهم فلا يفقهون شيئا، ويكون حاله كحال الصم البكم العمي الذين تثقل كواهلهم وقلوبهم أقفال الشياطين من الجن والإنس ((وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ))[٥٥] .

ت- الاستجابة المتباينة: وهو أن ينفذ الى وجدانه وإدراكه مآسي الأقوام الغابرة على درجات ومستويات متباينة تتسع وتضيق على وفق نمطين من التأثر :

الأول: تتدرج حالة الاعتبار في نفسه تبعا لنقاء سريرته أولا, ومقدار وعائه ثانيا((أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا))[٥٦]،إذ إن وعاء القلوب يقدّر باستيعاب العقول وإدراكها، وعليه فإن استخلاص العبرة والاعتبار يكون تبعا لسعة وعاء قلبه ومدى صفائه وقابليته على التأثر .

وتتوقف الاستجابة أيضا على طبيعة المنبه الخارجي ـ أي الصورة المعروضة التي ينبغي أن يعتبر بها ـ والحالة الشعورية الآنية ، واتجاه التفكير الآني[٥٧] .

والآخر : ان عملية التأثر تبدأ بـ [المنطقة الوجدانية], وتنتهي الى [المنطقة الإدراكية] لأنه (لابد من شحنة وجدانية تصحب العمليات الذهنية لتغذية النشاط العقلي بالدوافع والرغبات, ولتذكية الشوق الى مواصلة العمل فباختلاف قوة هذه الشحنات الوجدانية يختلف مستوى النشاط العقلي)[٥٨]ويختلف معه مستوى التلقي

ويطلق "الإدراك" على العملية العقلية(وهو نوع من الاستجابة لرموز وأشياء ، وترمي هذه الاستجابة الى القيام بضرب معين من السلوك)[٥٩].

[خامسا] : صور الاعتبار: وإذا كان "الاعتبار" بهذه الحساسية وبهذه الخطورة في حياة الإنسان فلِمَ تفرّد لفظه في موضع واحد من القرآن الكريم؟ إذ انه لم يرد سوى في مستهل سورة الحشر المباركة بالصيغة الأمرية (اعتبروا).

للإجابة عن هذا التساؤل لابد من التعرض الى لفتات وصور رسمها القرآن الكريم, تفضي الى تتبع قراءة إحصائية دقيقة في توزيع مادة (عبر) وصيغها ومشتقاتها بين السور والآيات الكريمة, وذلك في محاولة لتلمّس الحكمة الإلهية وراء هكذا توزيع :

الصورة الأولى: جاء تفرّد اللفظ القرآني (اعْتَبِرُوا) بالصيغة الفعلية, أمرا إلهيا وخطابا ربانيا خطيرا, يعلو صوته ويتجلى حضوره ويهيمن أثره على كتاب الله كله، ويخترق الأسماع لينفذ الى أعماق السرائر لذوي الألباب والأبصار, فيملأ كيانهم إلى أبعد منطقة وجدانية وإدراكية, الى الحد الذي لا يُحتاج معه لأمر آخر مماثل, مجسدا عظمة وعلوّ الآمر الذي هو القدرة المطلقة, في قبال ضآلة ودنوّ المأمور الذي لا حول له ولا طَوْل إلا بإمداد من القدرة المطلقة , ومن هنا جاء هذا الأمر الإلهي منفردا ولم يتكرر في القرآن الكريم, وإذ ذاك لابد ان يخضع العبد ويستجيب, ويطيع حباً وكرامةً, ويمتثل هيبةً ورهبةً وخشوعاً؛ فإن صوت الحق نافذ الى بواطن النفس الإنسانية مهيمن عليها وهو أقرب إليها من حبل الوريد .

الصورة الثانية: توزّع اللفظ القرآني (عِبْرَةً) عبر مجموعة من الآيات الكريمات, حيث شغل هذا اللفظ المساحة القدسية الأولى من القرآن الكريم: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ))[٦٠] وذلك في أوائل سورة آل عمران ضمن الجزء الثالث .

ثم شغل هذا اللفظ المساحة الثانية من القرآن الكريم في أربعة مواضع :

الأول : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ))[٦١] وهي خاتمة سورة يوسف الواردة في الجزء الثالث عشر, والثاني: ((وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً)) [٦٢]في منتصف سورة النحل في الجزء الرابع عشر، وتكرر التذكير الإلهي بشأن الأنعام في الموضع الثالث: ((وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً))[٦٣] في أوائل سورة المؤمنون في الجزء الثامن عشر, وعاد التنبيه والتذكير مرة أخرى لبني البشر, حيث تكررت العبارة التي وردت في الثلث الأول لتحتل مكانتها

في هذه المساحة القرآنية, وهو الموضع الرابع : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ))[٦٤] في منتصف سورة النور تقريبا في الجزء الثامن عشر أيضا .

وفي المساحة القدسية الأخيرة , وردت الآية الكريمة : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى))[٦٥] في قلب سورة النازعات في الجزء الأخير من القرآن الكريم, فكان الختام: تذكير البشر بالخشية من الله تعالى وأهميتها في استقامته على جادة الصواب, وهو أمر وجداني .

إن هذا النظام الرباني البديع في التوزيع جاء منسجما والطبيعة البشرية، ممتزجا والفطرة الإنسانية، ليوقظ الغافلين عن هذه الحقيقة الناصعة ويحفزهم على الاعتبار بعبر القرآن .

الصورة الثالثة : أما مصاديق هذا اللفظ القرآني(عِبْرَةً) فقد تنوعت وتعددت, حيث أسهمت مرة في رسم صورة للإعجاز القرآني المتمثل في قصة الانتصار على الكافرين من دون تكافؤ عددي((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ))[٦٦]، ومرة جسدت صورة دقيقة في عرضها النعم المادية المحسوسة التي أغدقها المنعم على عباده لتيسير استيطانهم على وجه البسيطة((وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً)) [٦٧]، وأخرى عرضت بعض المظاهر الكونية لأجل الاعتبار بها والوصول من خلالها الى معرفة مبدع الأكوان جل جلاله ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ))[٦٨] .

نستشف من ذلك ان للتنوع في المصاديق أثر واضح في ملء الثغرات النفسية للإنسان إذ لا يشعر معها بالضجر والملل مع تعدد الصور وتلونها .

الصورة الرابعة : يمكننا أن نتلمّس في كل سورة, بل في كل آية وكل كلمة في القرآن الكريم, المصداق الناطق بأشكاله وألوانه وأنماطه كافة ، والصورة الحية وهي تدعو الإنسان للاعتبار, وتوجهه وتحذره كيما يرتدع عن السلوك المنحرف ، وإن لم تلفظ فيها كلمة (عبرة) أو (اعتبار) ، وهذه الحقيقة لا ينكرها ذو لب وبصيرة ، فلنتأمل بخشوع وتأنّ آياته تعالى :

- ((إنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ وَالاَرْضِ وَاخْتِلافِ اللّيل والنّهار لآيات لأولي الالباب)) آل عمران١٩٠ وهو إلفات لذوي الألباب كيما يعتبروا بعظيم خلقه جل وعلا .
- ((وَ كَمْ اَهْلَكنا قَبْلَهُم مِنْ قَرن هُم اَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً فنقبّوا في البِلادِ هَل مِنْ محيص اِنّ في ذلِكَ لَذِكرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ اَوْ اَلقى السَّمعَ وَهُوَشَهِيدٌ)) ق٣٦-٣٧ هذه الآية من أوضح الواضحات الموجهة الى بني آدم للاعتبار.
- ((كُلُوا وَارْعَوا اَنْعامَكُمْ اِنَّ في ذلِكَ لآيات لأُولي النُّهى))طه٥٤ وجّه الأنظار الى الأنعام مرارا وتكرارا في قرآنه للاعتبار بجزيل نِعَمه, والتأدب بأدب الشكر عليها .
- ((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً)) فاطر ٤٤
- ((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }الأنبياء٣٥ وهل أبلغ من الموت عظة وعبرة !!؟
- ((أَلَمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ)) الفجر٦ـ ٧ جاءت هذه الآية بصيغة الاستفهام للفت الانتباه كي نرى فعل الله بالجاحدين المكذبين لعلنا نتعظ .

- ((أَلَمْ تَرَ كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيل)) الفيل ١ هذه القصة موعظة حية للمشركين لقربها الزمني منهم, وهي عبرة لكل الأجيال.
- ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ))الروم : ٤٢ قل لكفار مكة, وقل لأعقابهم, الى عصرنا الحالي, سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المشركين, فاهلكوا بشركهم, وأضحت مساكنهم ومنازلهم خاوية, وهذه المسيرة مستوعبة لبعدي الزمان والمكان .

[سادسا] : البناء الهرمي المحكم: ما الذي نستوحي من الصور القرآنية التي عرضناها, والتي حملت لفظ الاعتبار والعبرة ؟ إن أول ما يتمثل في الذهن ويرتسم من خلال إجراء عملية إحصائية لهذه الصور, هو:

١) ذلك البناء الهرمي الشامخ المحكم الذي ابتدأ بأصغر وحدة مصداقية لأعظم أمر إلهي ليمثل رأس الهرم, وهو دلالة لفظ (اعتبروا), هذه هي معالم الصورة الأولى.

٢) ثم تعددت الوحدات وتمثلت بستة مصاديق للفظ (عبرة)، وكونت الخط الهرمي الثاني, الممهد والمعزز للقاعدة الكبرى, وهذه هي معالم الصورة الثانية .

٣) بعد ذلك انطلقت الوحدات المصداقية الى عمق كتاب الله تعالى، وانتشرت في كل دلالات ألفاظه ـ وهي تمثل معالم الصورة القرآنية الرابعة ـ حتى رست ورسمت القاعدة الهرمية الكبرى، في حين أن الأمر الإلهي الأوحد والأقوى (اعتبروا) اعتلى رأس الهرم ليغذي بسلطانه وقوة نفوذه مفاصل الوحدات الهرمية الأدنى.

[أخيرا]: انتزاع المفهوم الكلي: بعد هذا البيان نستطيع الانتزاع من هذه الحقائق الجزئية مفهوما كليا هو: تميّز القرآن الكريم بعالميته وشموله لكل أبعاد عالم الوجود (الأنفسية) و(الآفاقية) , ودقته في اصطفاء الأفكار والمعاني التي تتواءم والفطرة الإنسانية لتجسيد وإظهار مسألة الاعتبار, وذلك لتحقيق الهدف الأساس من نزوله وهو الهداية والإرشاد .

ونستدل بهذا المفهوم الكلي على مسألتين في غاية الأهمية هما :

- ❖ إن الحقيقة القرآنية المتمثلة بالسور المباركة, والآيات الكريمة, والكلمات المقدسة, والأحرف النورانية, تمثل بأجمعها مصداقا شاملا حيا متجددا للعبرة والاعتبار .
- ❖ إن القيمة الفعلية للاعتبار لا تتبين, ولا تتجلى النتائج المترتبة عليها إلاّ عند الخضوع لحالة الاعتبار, والارتقاء بها إلى مستوى الاستجابة العملية السلوكية.

معجزة الإحياء عبرة واعتبار

اتضح من خلال ما ذكرنا شمولية العبرة والاعتبار في الآيات الكريمة, بيد أنها تظهر بصورة جلية في القصص والأقاصيص التي يعرضها القرآن الكريم بين ثنايا السور المباركة, نمثل لذلك بقصة البقرة ومعجزة إحيائها :

وردت هذه القصة في سورة البقرة, من الآية السابعة والستين حتى الآية الثالثة والسبعين, ولم ترد في غير هذه السورة, ومن الجدير ذكره اشتمال سورة البقرة على العديد من الآيات المعجزة الخارقة للعادة لقصص تدور جلّ أحداثها حول بني إسرائيل، كفرق البحر وإغراق آل فرعون، وأخذ الصاعقة بني إسرائيل وإحيائهم بعد الموت،

وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوى عليهم, وانفجار العيون من الحجر, ورفع الطور فوقهم، ومسخ قوم منهم قردة, وإحياء القتيل ببعض البقرة المذبوحة ـ والتي نحن بصدد تسليط الضوء عليهاـ وكإحياء قوم بعد أن قال لهم الله موتوا في قوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ...))[٦٩]وكإحياء الذي مر على قرية خاوية على عروشها, بعد إماتته مائة عام, وكإحياء الطير المذبوح بيد إبراهيم(ع)[٧٠]. وعلى العموم فإن أكثر الأمم الماضية قصةً في القرآن الكريم أمة بني إسرائيل، وأكثر الأنبياء ذكرا فيه موسى بن عمران(ع) , (فقد ذكر اسمه في القرآن في مائة و ستة و ثلاثين موضعا)[٧١] .

حدثت هذه القصة في (رجل من بنى إسرائيل عقيم، وله مال كثير، فقتله وارثهُ وجرّه، فقدمه على باب أناس آخرين، ثم اصبح يدّعيه عليهم, حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء، وأرادوا أن يقتتلوا فقال ذووا النهى: أتقتتلون وفيكم نبي الله؟ فامسكوا حتى أتوه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة، فيضربوه ببعضها, فقالوا: أتتخذنا هزوا؟ قال: أعوذ بالله أن اكون من الجاهلين, قال: فوجدوا البقرة عند رجل...وكان بارّا بأبيه, فعوضه الله عن ذلك وجازاه عن بره بأبيه، اذ باعها بملء جلدها ذهبا, فضربوا المقتول ببعضها. فتكلم, فقال: قتلني فلان، ثم عاد ميتا)[٧٢].

هذا هو فحوى القصة بإيجاز شديد, ويمكننا أن نخلص منها دروسا وعبرا جمة, ونعتبر من الواقع الإسرائيلي المنحرف الذي شوه التاريخ ولطخه بدماء الأنبياء:

١) إن أسلوب القصة ذو ترتيب فني يلفت الانتباه، حيث لم تبدأ أحداثها من البداية، وإنما (أخرج فصل منها من وسطها وقُدم أولا، ووضع صدر القصة وذيلها ثانيا, ثم ان الكلام كان مع بني إسرائيل في الآيات السابقة بنحو الخطاب فانتقل بالالتفات الى الغيبة حيث قال ((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً))[٧٣] ثم التفت الى الخطاب ثانيا بقوله ((وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا[٧٤])))[٧٥]. ولابد أن يكون لاستهلال القصة من وسطها مسوغ فني, فعلى الرغم من أن ظاهرة الإحياء هي الهدف الرئيس لها, إلا أنها جاءت في سياق عرض المواقف الإسرائيلية التي يطبعها التمرد, وعرض نعم الله عليهم, وكشف السلوك الملتوي لهم, والذهنية البليدة التي تترقع في طلباتها, وتتردد في تنفيذ ما عهد إليها, وتشكك في صدق ما أمرها به موسى(ع)[٧٦]. وبذا يفتضح أمرهم بين قبائل العرب لاسيما القاطنين معهم في المدينة, وتنكسر شوكتهم ويبطل ادعائهم بأنهم الأفضل دائما لأن منهم الأنبياء, ولن تمسهم النار إلا أياما معدودة !! وفي المقابل يرتفع شأن المسلمين ويهيمن الإسلام بهيبته وعنفوانه على بيداء الجزيرة, ويتخذ سلوك بني إسرائيل على مرّ التاريخ بمثابة عبرة لعرب الجزيرة .

٢) العبارات التي وردت على لسان بني إسرائيل في هذه القصة توضح ان هؤلاء القوم قد بلغوا الذروة في إهانة النبي, بل وبلغت بهم الجرأة الى إساءة الأدب تجاه رب العالمين, إذ لما سمعوا قول نبيهم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة, تعجبوا من ذلك ولم يحملوه إلا على إن نبي الله موسى يستهزئ بهم لعدم وجود رابطة عندهم بين ذبح البقرة وما يسألونه من فصل الخصومة ومعرفة القاتل, قالوا أتتخذنا هزوا وسخرية؟ (وإنما قالوا ذلك لفقدهم روح الإطاعة والسمع، واستقرار ملكة الاستكبار والعتو فيهم، فزعموا أن نبيهم مثلهم يتهوس كتهوسهم، ويلعب كلعبهم، فرموه بالاستهزاء والسفه والجهالة, حتى رد عليهم وقال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)[٧٧] وبعد هذه الآيات البينات، لم تلن قلوب بني إسرائيل، بل بقيت على قسوتها وغلظتها وجفافها, فهي أشد قسوة من الحجارة،

لأن بعض الحجارة تتفجر منها الأنهار أو تنبع منها المياه أو تسقط من خوف الله, لكن قلوب بني إسرائيل لا تنفجر منها عاطفة ولا علم، ولا تنبع منها قطرة حبّ، ولا تخفق من خوف الله جل وعلا , وهذا المنطق ينطبق على عتاة قريش ومستكبريها .

٣) إن بني إسرائيل هم أكثر الأمم لجاجا وخصاما، وأبعدهم من الانقياد للحق، وعلى هذه الصفة كان كفار العرب الذين ابتلى بهم رسول الله (ع) , فلا ترى رذيلة من رذائل بني إسرائيل في قسوتهم وجفوتهم مما ذكره القرآن إلا وهو موجود فيهم، فكان بنو إسرائيل قوما غائرين في المادة منكبين على ما يعطيه الحس من لذائذ الحياة الصورية، ولا يؤمنون بما وراء الحس، ولا ينقادون إلا إلى اللذة والكمال المادي، وهم اليوم كذلك[٧٨].

٤) ثمة قرائن في القصة توضح أن هؤلاء القوم لم تكن لهم معرفة كاملة بالله ولا بالنبي المرسل إليهم، فقد قالوا له بعد كل أسئلتهم((اَلآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ[٧٩])) وكأنّ ما جاء به حتى ذلك الوقت كان باطلا!! وجاء في التفسير (انظر الى قولهم أخيرا بعد تمام البيان الإلهي:الآن جئت بالحق، الدال على نفي الحق عن البيانات السابقة المستلزم لنسبة الباطل إلى طرز البيان الإلهي والتبليغ النبوي)[٨٠].

٥) من الممكن أن تشير القصة إلى حقيقة مفادها: إن كل المفاسد والجرائم مصدرها في الغالب أمران: الطمع في المال، والطمع في الجنس , حيث ورد في بعض الروايات أن سبب القتل هو من أجل الظفر ببنت المقتول فضلا عن المال والإرث[٨١] .

٦) هذه القصة فيها إشارة إلى مسألة المعاد، ولها دلالات على قدرة الله اللامتناهية، ولذلك وردت في الآية التي تلي القصة مباشرة عبارة متممة للفكرة الرئيسة ((كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتى))[٨٢] إشارة إلى مسألة المعاد، وعبارة ((وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ))[٨٣] تأكيد على قدرة الله وعظمته, وتتحدث أيضا عن سنّة من سنن الله تعالى، وهي أن الأُمّة تستوجب غضب الله حين تصرّ على عنادها ولجاجها واستهتارها بكل شيء[٨٤], وهو إنذار موجه الى عرب الجاهلية على وجه الخصوص, وهو أيضا رسالة موجهة عبر الأزمان الى الأجيال الأخرى .

٧) الظاهر ان بني اسرائيل لم يكونوا قد برئوا بعد من فتنة السامري, ولعل (انتخاب البقرة للذبح يستهدف غسل أدمغة هؤلاء القوم من فكرة عبادة العجل)[٨٥] والتوجه الى عبادة الله تعالى, ونراهم في مواضع عديدة من هذه القصة يخاطبون نبيهم بعبارة ((ادْعُ لَنَا رَبَّكَ))وكأن ربّ موسى غير ربّهم، مع أن موسى(ع) كان قد قال لهم:((إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ)), وبلجاجهم في معرفة تفاصيل أوصاف البقرة عقّدوا الأمر على أنفسهم, فقد جاء عن رسول الله(ع) أنهم((إنما أمروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم؛ وإيم الله لو أنهم لم يستثنوا ما بينت لهم آخر الأبد))[٨٦] أي انهم لو لم يقولوا إن شاء الله لما اهتدوا الى البقرة الموصوفة .

٨) البر بالولدين يؤدي الى التوفيق الإلهي, وهذا من معطيات قصتنا هذه التي تحمل سمة أخلاقية على درجة عالية من الأهمية في تقويم السلوك وتنظيمه مع الوالدين بالخصوص, إذ يذكر المفسرون أن البقرة كانت ملكاً لشاب صالح على غاية البّر بوالده, هذا الرجل واتته سابقاً فرصة صفقة مربحة، كان عليه أن يدفع فيها الثمن نقداً, وكانت النقود في صندوق مغلق مفتاحه تحت وسادة والده, فأبى إيقاظه وإزعاجه, وفوّت على نفسه ربح مادي عظيم . ففي رواية للعياشي أنه قال:(قال الرضا(ع): قال لرسول الله(ع) بعض أصحابه: هذه البقرة ما شأنها ؟ فقال: إن فتى من بني إسرائيل كان بارا بأبيه، وإنه اشترى سلعة فجاء إلى أبيه فوجده نائما والإقليد

تحت رأسه، فكره أن يوقظه، فترك ذلك، واستيقظ أبوه فأخبره، فقال له: أحسنت، خذ هذه البقرة فهي لك عوض ما فاتك، قال: فقال رسول الله (ص): انظروا إلى البر ما بلغ بأهله)[٨٧] .

بعد هذه الوقفة عند قصة الإحياء المعجز للبقرة يمكننا تلمّس تأثيرها الكبير على الوجدان, وعلى الإدراك العقلي للبشر, وعلى هذا لا ينبغي أن نحددها ضمن إطار المكان والزمان, فكما أثّرت في أهل المدينة وألقت الحجة عليهم ـ وهي قصة مدنية ـ كذلك أثّرت في أهل مكة والقبائل الأخرى, بل والأمم الأخرى, بل والأزمان الأخرى .

الخاتمة

(١)يمثل(الاعتبار) العصب النابض والحياة المتدفقة للقرآن الكريم ـ وكل مفاصل القرآن تنبض بالحياة ـ لما له من أهمية قصوى في بلورة الهدف الأسمى المتمثل بالهداية البشرية, وقد ورد لفظ (اعتبروا) في القرآن الكريم مرة واحدة في ذيل الآية الثانية من سورة الحشر المباركة, إذ نزلت بشأن اليهود القاطنين في المدينة وقصة إجلائهم عن ديارهم من غير قتال, وهو تدبير إلهي يحملنا على الإمعان في التأمل والاعتبار من حال اليهود في غدرهم واعتمادهم على غير الله تعالى.

(٢)بعد إلقاء نظرة شمولية على روايات المعصومين وأقوال المفسرين استنتجنا دلالة الاعتبار على المستوى الاجتماعي العام بأنها: ما يمكن استخلاصه من تاريخ الأمم وحوادث الغابرين، وسَنّه بمثابة قوانين حياتية يسير على وفق هداها المجتمع ، وذلك بتجنب ما يحقق الأسباب لفناء الحضارات وموتها ، وتبني ما يحقق الأسباب لانبعاث الحضارات وانتعاشها .

(٣) إن البعد الاعتباري له القابلية على الاتساع والشمول في القرآن الكريم ضمن المديات الطبيعية , وهو مستوعب لعلاقات وأنواع وأجناس متنوعة منها : (العلاقة الزمانية) , فلا يحجم بانتسابه الى الزمن الماضي بل يشمل الحاضر والمستقبل أيضا , (والعلاقة المكانية) , فلا يقتصر انتماؤه الى مكان معين من أجل إظهار مواطن العبرة والاعتبار ففي كل مكان عبرة لنا نحن البشر سواء في دار الدنيا أم في الدار الآخرة , وهكذا في العلاقات والأبعاد الأخرى .

(٤)يمكننا قراءة مسألة الاعتبار قراءة تكشف عن قدر ما يعتمل في أعماق النفس الإنسانية , فالاعتبار هو : حالة نفسانية تجتاح أعماق الشعور، موجهة للسلوك، ناتجة عن ردة فعل خارجي، تمتلك من الطاقة ما تستطيع به تغيير الكائن البشري جذريا من وضع الى آخر.

(٥) وفي النهاية انتزعنا مفهوما كليا مفاده تميّز القرآن الكريم بعالميته وشموله لكل أبعاد عالم الوجود (الأنفسية) و(الآفاقية) , ودقته في اصطفاء الأفكار والمعاني التي تتواءم والفطرة الإنسانية لتجسيد وإظهار مسألة الاعتبار, وذلك لتحقيق الهدف الأساس من نزوله وهو الهداية والإرشاد . واستدللنا بهذا المفهوم الكلي على مسألتين في غاية الأهمية هما : ١ ـ إن الحقيقة القرآنية المتمثلة بالسور المباركة, والآيات الكريمة, والكلمات المقدسة, والأحرف النورانية, تمثل بأجمعها مصداقا شاملا حيا متجددا للعبرة والاعتبار . ٢ ـ إن القيمة الفعلية للاعتبار لا تتبين, ولا تتجلى النتائج المترتبة عليها إلاّ عند الخضوع لحالة الاعتبار, والارتقاء بها إلى مستوى الاستجابة العملية السلوكية.

الهوامش

(١) سورة النساء : ٤٣

(٢) سورة آل عمران : ١٣

(٣) سورة يوسف : ٤٣

(٤) المفردات ، الراغب الاصفهاني، كتاب العين ، مادة عبر : ٣٢٣

(٥) سورة الحشر : ٣

(٦) لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، فصل العين المهملة: ٥٢٩/٤

(٧) المعجم الوسيط , إبراهيم مصطفى ـ أحمد حسن الزيات ـ حامد عبد القادرـ محمد علي النجار: ٥٨٠

(٨) التبيان , أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي : ٥٤٤/٩

(٩) الكشاف , أبو القاسم جار الله الزمخشري : ٢٣/٧

(١٠) روح المعاني , أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي : ٤٠٩/٢٠

(١١) نظم الدرر , برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي : ٤٢٩/٨

(١٢) تفسير العياشي , أبو النظر محمد بن مسعود العياشي: ٢٠٣/٢

(١٣) نهج البلاغة, للأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام), الشريف الرضي : ٢٢١ , الخطبة القاصعة رقم ١٩٣

(١٤) م . ن : ٢١٦

(١٥) مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق : ٢٠١ , الباب السابع والتسعون (في العبرة)

(١٦) نهج البلاغة , للأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام), الشريف الرضي: ٢١٣ , الخطبة القاصعة رقم ١٩٣

(١٧) روح المعاني , الآلوسي : ١٤/ ٢٣٥

(١٨) مفاتيح الغيب , الفخر الرازي : ٢٩١/١٥

(١٩) نظم الدرر , البقاعي : ٤٢٩/٨

(٢٠) التبيان , الطوسي : ٥٦٠/٩

(٢١) مجمع البيان ، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي: ٩/ ٢٥٨

(٢٢) الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي: ١٢٦/١٨

(٢٣) الحدود والفروق , سعد بن هبة الله البغدادي : ٣٠ , الحد رقم ٢٥

(٢٤) سورة المائدة : ٣٣ . ٣٥

(٢٥) سورة فاطر : ٣٧

(٢٦) سورة ق : ٢٠ . ٢٦

(٢٧) سورة إبراهيم : ٢١. ٢٢

(٢٨) الحدود والفروق , سعد بن هبة الله البغدادي: ٣١ , الحد رقم ٢٦

(٢٩) سورة ق : ٢٠ . ٢٦

(٣٠) سورة الإسراء : ٩

(٣١) سورة الجن : ١. ٦

(٣٢) سورة الزمر : ٧٥

(٣٣) سورة الرعد : ١٣

(٣٤) سورة عبس : ١٧

(٣٥) سورة الروم : ٨

(٣٦) المنطق . الفلسفة ، مرتضى مطهري : ١٠٢

(٣٧) م. ن : ١٠٢

(٣٨) أسس الفلسفة , مرتضى مطهري : ١/ ٣٥

(٣٩) سورة النازعات : ٢٦

(٤٠) الأمثل, ناصر مكارم الشيرازي : ١٩ / ٢٨١

(٤١) سورة آل عمران : ١٣

(٤٢) ظ نفحات القرآن , ناصر مكارم الشيرازي : ١/ ١٣٧

(٤٣) سورة يوسف : ١١١

(٤٤) نفحات القرآن, ناصر مكارم الشيرازي : ١/ ١٣١

(٤٥) م . ن : ١/ ١٣٨

(٤٦) سورة الحشر : ٢

(٤٧) ظ فلسفة الأخلاق ، مرتضى مطهري : ٣٧

(٤٨) فلسفة الأخلاق في الإسلام , محمد جواد مغنية : ٧٦

(٤٩) ظ فلسفة الأخلاق ، مرتضى مطهري : ٣٩

(٥٠) فلسفة الأخلاق , محمد جواد مغنية : ٧٧

(٥١) سورة الأعراف : ٢٠١

(٥٢) سورة الفرقان : ٦٣

(٥٣) سورة الشعراء : ٨٨ . ٨٩

(٥٤) سورة الفرقان : ٤٤

(٥٥) سورة البقرة : ١٧١

(٥٦) سورة الرعد : ١٧

(٥٧) ظ مبادئ علم النفس العام ، يوسف مراد : ١٦٠

(٥٨) م . ن : ١٢٣

(٥٩) م . ن : ١٥٩

(٦٠) سورة آل عمران : ١٣

(٦١) سورة يوسف : ١١١

(٦٢) سورة النحل : ٦٦

(٦٣) سورة المؤمنون : ٢١

(٦٤) سورة النور : ٤٤

(٦٥) سورة النازعات : ٢٦

(٦٦) سورة آل عمران : ١٣

(٦٧) سورة النحل : ٦٦

(٦٨) سورة النور : ٤٤

(٦٩) سورة البقرة : ٢٤٣

(٧٠) ظ الميزان : ١/ ٢٠٠

(٧١) م . ن : ١/ ٢٠١

(٧٢) التبيان ، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي : ١/ ٣٠١

(٧٣) سورة البقرة : ٦٧

(٧٤) سورة البقرة : ٧٢

(٧٥) الميزان, محمد حسين الطباطبائي : ١/ ١٩٨

(٧٦) ظ دراسات فنية في قصص القرآن ، محمود البستاني: ٢٥

(٧٧) الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ١/ ١٩٩

(٧٨) ظ الأمثل, ناصر مكارم الشيرازي : ١/ ٢٦٧

(٧٩) سورة البقرة : ٧١

(٨٠) الميزان, محمد حسين الطباطبائي : ١/ ١١٣

(٨١) ظ الكشف والبيان ، أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي : ١/ ١٥٦

(٨٢) سورة البقرة : ٧٣

(٨٣) سورة البقرة : ٧٣

(٨٤) ظ الأمثل, ناصر مكارم الشيرازي : ١/ ٢٧٠

(٨٥) الأمثل, ناصر مكارم الشيرازي : ١/ ٢٧٠

(٨٦) تفسير القرآن العظيم , أبو الفداء اسماعيل بن كثير : ١/ ٢٥٨

(٨٧) كنز الدقائق , محمد بن محمد رضا المشهدي: ١/ ٢٨٥

مصادر البحث

(١) **أسس الفلسفة والمذهب الواقعي:** مرتضى مطهري , دار الثقافة للمطبوعات , ١٩١٩م

(٢) **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل:** ناصر مكارم الشرازي , دار إحياء التراث العربي , ط:٢ بيروت ـ لبنان , ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

(٣) **التبيان في تفسير القرآن:** أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي, تحقيق وتصحيح أحمد حبيب العاملي , مكتب الإعلام الإسلامي , إيران, قم, ط:١ , ١٤٠٩هـ

(٤) **تفسير العياشي:** أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي,(ت: ٣٢٠هـ) تصحيح وتحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي , المكتبة العلمية الإسلامية , طهران . إيران

(٥) **تفسير القرآن العظيم:** الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت: ٧٥٠هـ) دار المعرفة , بيروت . لبنان , ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م

(٦) **الحدود والفروق:** سعيد بن هبة الله البغدادي, تحقيق: غلام علي اليعقوبي, مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر, بيروت ـ لبنان, ط:١ , ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م

(٧) **دراسات فنية في قصص القرآن:** محمود البستاني, مجمع البحوث الإسلامية, إيران ـ مشهد, ط:١ , ١٤٠٨هـ

(٨) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي(ت:١٢٧٠هـ), تصحيح: محمد حسين العرب , بإشراف هيئة البحوث والدراسات , دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

(٩) **فلسفة الأخلاق:** مرتضى مطهري , نقله الى العربية محمد عبد المنعم الخاقاني , مؤسسة صدر الخلائق , ١٤٢٤هـ

(١٠) **فلسفة الأخلاق في الإسلام:** محمد جواد مغنية ، وثق أصوله وحققه وعلق عليه : سامي الغريري ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي, مطبعة ستار , ط:١ ، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

(١١) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(ت:٥٣٨هـ), شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر, ١٣٨٥هـ . ١٩٦٦م

(١٢) **الكشف والبيان:** أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري(ت:٤٢٧هـ), تحقيق: أبو محمد بن عاشور , دار إحياء التراث العربي , بيروت . لبنان , ط:١ , ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م

(١٣) **كنز الدقائق وبحر الدقائق:** محمد المشهدي بن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي (ت:١١٢٥هـ), تحقيق: مجتبى العراقي , مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة , ١٤٠٧هـ

(١٤) **لسان العرب:** أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الفريقي المصري(ت:٧١١هـ), أدب الحوزة , ١٤٠٥هـ

(١٥) **مباديء علم النفس العام:** يوسف مراد, ط: ٢, دار المعارف بمصر, ١٩٥٤م

(١٦) **مجمع البيان في تفسير القرآن:** أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت:٥٤٨هـ) , تصحيح وتحقيق: هاشم الرسولي المحلّاتي , دار إحياء التراث العربي , بيروت . لبنان , ١٣٧٩هـ

(١٧) **مصباح الشريعة:** المنسوب للإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) الناشر: «مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات»، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م

(١٨) **المعجم الوسيط:** تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات, حامد عبد القادر, محمد علي النجار, مطبعة الباقري ، ط:٢ , ١٤٢٧هـ

(١٩) **مفاتيح الغيب, أو (التفسير الكبير):** فخر الدين الرازي الشافعي(ت:٦٠٦هـ) , منشورات محمد علي بيضون, دار الكتب العلمية , بيروت . لبنان , ط:٣

(٢٠) **المفردات في غريب القرآن:** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني(ت:٥٠٢هـ), تحقيق: محمد خليل عيتاني, دار المعرفة, بيروت . لبنان, ط:٤ , ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م

(٢١) **المنطق ـ الفلسفة:** مرتضى مطهري(ت:١٣٩٩هـ), ترجمة حسن علي الهاشمي , مراجعة عبد الجبار الرفاعي, مؤسسة دار الكتاب الإسلامي, ط:١, ١٤٢١هـ .٢٠٠١م

(٢٢) **الميزان في تفسير القرآن:** محمد حسين الطباطبائي(ت:١٤٠٢هـ) , مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات , إيران– قم, ط:١ المحققة , ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م

(٢٣) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي(ت:٨٨٥هـ), تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي, دار الكتب العلمية, بيروت ـ لبنان, ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م

(٢٤) **نفحات القرآن:** ناصر مكارم الشيرازي , دار جواد الأئمة للطباعة والنشر والتوزيع , ط:١ , ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

(٢٥) **نهج البلاغة للأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام):** الشريف الرضي(ت:٤٠٦هـ), صححه: محمد الدشتي , مؤسسة الأمام الخميني العالمية للفن والثقافة , قم . ايران , ط:١